

الهداية

[15] وقال الشيخ الطوسي في مقدمة المبسوط: " لأنهم - أصحاب فقه الإمامية - ألقوا الأخبار وما رواه من صريح الألفاظ حتى إن مسألة لو غير لفظها وعبر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم لعجبوا (تعجبوا خ ل) منها وقصر فهمهم عنها ، وكنت عملت على قديم الوقت كتاب النهاية ، وذكرت جميع ما رواه أصحابنا في مصنفاتهم وأصولها من المسائل وفرقوه في كتبهم ، ورتبته ترتيب الفقه ، وجمعت من النظائر... وأوردت جميع ذلك أو أكثره بالألفاظ المنقولة حتى لا يستوحشوا من ذلك... " (1). من الواضح لدى أهل العلم والفضيلة إن الشيخ الطوسي رحمه الله كان على اطلاع تام بكتب عصره والنمط الذي كتبت به ، وهو ليس من المبالغين ولا من أهل التفريط والافراط ، لذا حسبنا كلام الشيخ هنا لتأكيد ما قلناه من إن متون كتب الفقهاء في الفترة التي قاربت عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام كانت عبارة عن أخبار مأثورة ، بيد إننا نأتي بما قاله بعض العلماء للمزيد من الاسناد لما ذهبنا إليه. قال الشهيد في الذكرى: " وقد كان الأصحاب يتمسكون بما يجدونه في شرائع الشيخ أبي الحسن بن بابويه رحمه الله عند إعواز النصوص، لحسن ظنهم به ، وإن فتواه كروايته ، وبالجمله تنزل فتاويهم منزلة روايتهم... " (2). واستشهد بهذا الكلام المحقق الداماد (3).

_____ 1 - المبسوط: 1 / 2. 2 - الذكرى: 4 و 5. 3 -

_____ شرعة التسمية: 72.